

## في ضيافة الهلالي باشا (\*)

للدكتور زكي مبارك



كانت جريدة الأهرام نشرت أن جماعة من الوزراء سيوزرون المنوفية ، وأن في منهاج الزيارة شهود اجتماع يعقده النواب والشيوخ في سنترس ، فاستفسرت من حضرة الأستاذ شافعي البنا عن المراد من ذلك الاجتماع ، فقال إنه للترحيب بالوزراء وهم في الطريق إلى عاصمة المنوفية ، وإنما اختيرت سنترس لأنها الملتقى لبلاد مركز أشمون ، ولأنها أول بلد على بحر شبين بعد عبور القناطر الخيرية

قلت لنفسى : إن اسمي يخطر في البال حين تذكر سنترس ، فما الذى يمنع من دعوة وزير المعارف للتفضل بزيارة دارى هناك ؟ وكان المفهوم عندى أن الدعوة ستقابل بالاعتذار الرقيق ، فقد كنت أعرف أن الوقت لا يتسع للزيارات ، ولكن الهلالي باشا أعزاه الله تقبل دعوتى بأحسن القبول ، كفى وجهتها إليه وهو في أسيوط وطن الشهامة والجلود

وفي مكتب الوزير دار الحديث على الصورة الآتية :

— أهلاً بنبأنة سنترس !

— هذا اللقب لا يكتفى يا معالى الوزير في تحيتي

— وكيف ؟

— لأن الأستاذ عباس حافظ هو الذى منحني هذا اللقب في مناوشة أدبية ، وهو يريد أنى نأبنة سنترس فقط ، ولست مفكراً عالياً ، كما أريد لنفسى . وللأدباء مسالك تعجز عنها الشياطين !

— كنت أحسب أنك منحت هذا اللقب لكثرة ما تتحدث

عن سنترس

— لو صح هذا لجاز أن أكون أيضاً « نأبنة أسيوط »

فلى فيها قصائد ، وسأنتشر عنها كتاباً بعد حين

— أسيوط أوحث إليك أشياء ؟

— هي مدينة موحية ، ولعلك توافق على أن لشارع الهلالي

(\*) هذا الفال رياضة للعلم على الوصف الخالى من البالغات ، وهو لمصعب الأوصاف

هناك جاذبية تفوق الوصف ، وما دخلت أسيوط إلا جملته طريقى إلى النيل

— لذلك الشارع تاريخ ، فقد كان مع الأراضى التى حواليه بستاناً من بساتين جدى ، وكان البستان هو الممر الموصل بين قصره بالمدينة ودهبته بالنيل ، فأين أنا من تلك الحياة ؟ وأين منى ذلك الثراء ؟

— إن ثروة جدك لم تضع ، يا معالى الوزير ، فلها صورة باقية هي علمك وفضلك ، وفي بعض الآثار أن ذكاء المرء محسوب عليه ، فالذكاء رزقك ، وهو أطيب الأرزاق

— من فضل الله على أهل الأدب أن يحب إليهم المعاني

— وفي سبيل المعاني سترى أنى بخلت على جيبى بشمن

شجرتين عظيمتين قامتتا في مدخل البيت

— وما حديث الشجرتين ؟

— إن تكلا باشا صاحب جريدة الأهرام بنى في صواحي

سنترس قصرأ لا يعلو عليه غير هاتين الشجرتين ، فأنا أعزها كل الإعزاز لأطول بهما قصر الرجل الذى قلت فيه :

ينازعنى في سنترس منازع

له من جدآ (الأهرام) مرتبَعٌ خُصِبُ

إلى آخر القصيدة التى سأنتبها في الطبعة الثانية من ديوانى

— سأزور دارك ، مع الشكر لدعوتك الكريمة ، وإن

كان مكانى في رحلة الوزراء إلى المنوفية مكان الضيف

— وزير المعارف لا يكون ضيفاً بالمنوفية ، لأن المنوفية تمد

مصر بجواهر كثيرة من المعلمين ، وأنت وزير المعلمين ، وسيكون الجميع ضيوفك هناك

كان يجب أن أدعو الوزراء الذين بشركون في رحلة المنوفية ،

ولكن كيف أدعوهم وقد ضاق الوقت ؟

دعوت معالى الأستاذ فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون فتلفظ

بالقبول ، ولم يفته أن ينص على أن اسم سنترس اسم جميل

ومصرت على معالى وزير العدل ، وهو رجل أبغضه بعض

البغض ، لأنه يريد ببجهاذه ونفضاله أن يكون الرجل الأول

في المنوفية لا في سنترس ! فقال حين رآنى : ما كنت أعرف

أن الهلالي باشا يمزك إلى هذا الحد . ففهمت أن الهلالي باشا

حدثه عن دعوتى قبل أن أصل إليه بلحظات

والشوى مصغر شىء الخفف عن شىء ، ولكن ما « الكُرُنات » ؟  
دار ذهني مرة ومرات إلى أن عرفت أنها منقولة عن  
الكلمة الفرنسية Couronne وعلى هذا تكون الكُرُنات  
هى التيجان

لا بأس ، فللأدب الفرنسى فى عقلى ديون ، ومن حقه  
أن يزور دارى مع الوزراء .

\*\*\*

أما بعد فنحن فى سبيحة الاحتفال ، وقد جمعت خلائق  
فى سنترس بمجز عن عدّها الإحصاء

وهذا هو « البرجاس » ، فما البرجاس ؟  
هو لب الخيل ، وتلك كلمة قاموسية هجرت فى أكثر  
البلاد ، وبقيت مأنوسة فى سنترس

لم يكن منظوراً أن يحضر الوزراء فى المياد . ومن الذى  
يفرض على رجال مكودين أن يحضروا يوم راحتهم فى المياد ؟  
لم يبق إلا أن تتمتع تلك الجماهير بلعب الخيل ، وفى لعب الخيل  
متعة ذوقية تذكر أبناء المنوفية بماضيهم فى الفروسية

وبجانب لعب الخيل تقوم المزامير والطبول فى لونها القديم  
والحديث : فتسمع مرة « يا تخلصين فى الملالي » وتسمع مرة  
« بالاك مع مين يا شاغل بالى » .

ثم ننظر فترى بُنَيَات المدارس الأولية من سملاى وسنترس  
فتلتفت إلى ماضى صباك ، يوم كنت تخطب طِفلةً وهى  
فى الهدى ، لأنك سمعت أن أمها من رائعات الجمال ...

أما الأطفال فقل فيهم ما تشاء . ولقد سررت أن أرى أطفال  
سملاى وسنترس فى صحة وعافية . وأى أطفال ؟

الحمد لله على نعمته ، فإفهم سقيم ولا ضعيف ، وإنما هم  
الطلائع لجبل سيكون برعاية الله أقوى الأجيال

إن وزارة الصحة لا تخاف على سنترس حين تعرض بلاد  
مركز أشمون لإحدى الآفات ، فهو سنترس شفاء من كل

داء ، وهل تذكر وزارة الصحة أن بلدنا كفها شيئاً من المتاعب ؟  
إن الله يعلم أن سنترس تعتمد على رعايته السامية ؛ وإن

الله يعلم أن أهل سنترس أحوج الناس إلى رعايته السامية ،  
فهو بكرمه وفضله ولطفه يقيمهم الأسواء

قضاء لحظة تحت سماء سنترس تذهب هموى ولو كانت  
أثقل من الجبال ، فلهذا البلاد روحانية منقولة عن اعتقاد أهله على

ثم رجوت الأستاذ شافى البنا أن ينوب عنى فى دعوة  
من لم أستطع دعوتهم لضيق الوقت ، وهو أخ نعمت بمودته شهوراً  
طوالاً فى غياب الاعتقال

\*\*\*

فى عصرية اليوم الذى يسبق يوم الاحتفال دخلت سنترس  
لأرى كيف استطاع أنبأى بمعونة بنى أعمامهم إعداد حديقة الدار  
لاستقبال الوزراء

وهناك وجدت نواب مركز أشمون يتحاورون فيما ينبئ  
أن يقال

سمعت كلمات لم تعجبني ، فسارعت إلى تنفيدها فيما بيني وبين  
نفسى ، لأتخذ منها مادة أنتفع بها فى إحدى المقالات ، ولأشير  
عليهم بإخفائها عن الوزراء ، إن خفت أن يقولوها فى حضور  
الوزراء .

فقلت فى نفسى : وما الميب فى ذلك ؟ هل نُقِلَتْ أطيان  
المنوفية إلى القليوبية أو الغربية ؟ إن الذى وقع لا يزيد عن أن  
العائلات الكبيرة تفرغت إلى عائلات صغيرة ، ومن هنا تمددت  
المسكيات فى المنوفية ، وهذا باب من قوة الشخصية ، فلكل  
فلاح فى هذا الإقليم وجود صحيح ، وهو لهذا صورة نموذجية من  
الرقى المنشود

وسمعتهم يقولون : يجب أن نعرض مطالب المنوفية على الوزراء  
فقلت فى نفسى : الأفضل أن يقال إن المنوفية فى استعداد  
لماونة الوزراء على إصلاح سائر الأقاليم ، لأنها تملك أكبر عدد  
من المفكرين

والثفت فرأيت الأخ العزيز محمد أفندى محمود عمدة سملاى  
يجذب يدي ليدسّر فى أذنى كلمات ، فما تلك الكلمات ؟

هو يرى أن نقيم الزينات على باب البيت  
وأنا أرى أن يبقى البيت بصورته الطبيعية ، لأنى أبغض

الحسن المجلوب

نم غلب رأيه وحضر الفراشون لتزيين مدخل البيت ،  
فسمعت منهم كلمات غير مفهومة ، ولكنى تظاهرت بالعلم

وتركتهم يتصرفون فى حدود ما يحسنون

« شُويّة كُرُنات ، شُويّة كُرُنات »

فأهذا من الوجهة اللغوية ؟  
الكلمة الأولى مفهومة ، فالشُويّة مؤنث الشُويّة ،

واهب الخيرات والثمرات ، ورعاية الله لمن يتوكلون عليه لا تحتاج إلى بيان .

\*\*\*

حضرت ثلثة من الشرطة للمحافظة على النظام ، ولكن الأهالي لم يحججهم إلى تعب ، فقد عرف كل فرد واجبه ، وسادت الرغبة في أن تكون الحفلة غاية في الصفاء ومع هذا أنظر فأجد رئيس نقطة النعناعية يشكو من أن أحد أقربائي يحاول الشغب في الاحتفال ، وبعد التحري ظهر أن حامد أفندي عثمان يطلب من الحاضرين إمضاء عريضة ترفع إلى وزير المعارف ، ليتفضل الوزير بإنشاء مدرسة ابتدائية في سنترس

عند ذلك ابتسمت وقلت : يسرني أن يعرف حضرة الضابط أن معالي الهلالي باشا يحب هذا النوع من الشغب . والمطالبة بإنشاء مدرسة ابتدائية في سنترس شغب لطيف . ثم أخذت العريضة لأقدمها إلى معالي الوزير بنفسي ، وستكون أجل هدية أقدمها إليه

وأقبل الخيالة يعدون ويركضون تبشيراً بقدوم الزائرين ، فهتفت الجماهير بحياة جلالة الملك ، وصدحت الموسيقى بالسلام الملكي ثم تعالت الهتافات بأسماء الوزراء وباسم رئيسهم الجليل ، شفاء الله وعافاه

كان مع الركب جماعة من المحررين والمصورين ، وهم جميعاً أصدقاء ، وكان فرحي بلقايتهم فرح الأديب بالأديب

وبعد تناول القهوة وقف النائب المحترم سليم أبو العلا فالتقى خطبة طويلة تحدث فيها عن أعمال الذين حضروا من الوزراء ، وقد قوبلت خطبته بالإعجاب

وكانت النية أن يخطب الأستاذ عبد البر زهران ، ولكن الوقت لم يتسع لما يريد . ثم نهض معالي الأستاذ صبري باشا أبو علم فالتقى كلمة لطيفة شكر بها نواب مراكز أشمون ، واعتذر بلطف لمن ضاق الوقت عن سماع ما أعدوا من الكلمات الجياد

وفي تلك اللحظة تموجت تلك الجماهير لتزور داري مع الوزراء ، فكان منظر لن تنساه سنترس ، ولو طال الزمان لقد أقيمت في بلدنا حفلات كثيرة سمع فيها أهل بلدنا أصوات رجال مشاهير من رؤساء الوزارات ، ولكني أستبعد

أن يكونوا فرحوا بقدر ما فرحوا في هذا اليوم السعيد أمر الوزراء الوفدين بحجب في بحجب ١١ إنك تنقدم كيف شئت في المجالس والمنتديات ، ولكنك لا تستطيع سد

الجواهر عن الوفاء لهم إلى أبعد حدود الوفاء لم أكن وفدياً في أي يوم ، ولا دعوت هؤلاء الوزراء للتفضل بزيارة داري إلا لغاية أدبية ، هي أن تضيفهم سنترس ، وهي المكان الذي اختاره للاحتفاء بهم نواب مراكز أشمون ، فما الذي يملك من السحر هؤلاء الوفديون ؟

كان السرايق الذي أعدّه النواب يضيق برغم رحابته عن إعلان الفرح بقدوم أولئك الوزراء ، فلما وجدت الجماهير فرصة للترحيب بهم في حديقة الدار تدافعوا تدافع الأمواج ، وأعلنوا فرحهم بهتاف يشق أجواز السماء

وفي هذا الزحام وقف وزير المعارف لسمع النشيد : سنترس في سرور وهناء وجبور وقف برجاء من الأديب محمود عبد العزيز ، برغم ذلك الجو الضجيج

أين الوقت ؟ أين ؟

إن الوزراء سيصلون الجمعة في شنوان ، فمن الواجب أن نمضيهم من الخطب الطوال

قال الأستاذ عبد السميع الطوخي فقرات من خطبته ، وقال الأستاذ محمد شكا أحياناً من قصيدته ، ودعاني وزير العدل إلى أن ألقى خطبتي ، فاذا أقول ؟

قلت : إن الحاضرين جميعاً في ضيافة الهلالي باشا ... وطويت خطبتي . فما الذي كان في الخطبة المطوية ؟

الجواب عند شجرات الورد في حديقة داري ، وهي قد حدثتني أن الزهر يمشي يوماً أو يومين ، أما جذور أشجار الورد فهي في صلاية الجلمود ، ومنها تتخذ « البيبة » التي تمجيز عن إحراقها النيران

دعابة الهلالي باشا هي زهر الورد

وصلاية الهلالي باشا هي جذع الورد

وهل منعت وداعة هذا الرجل من أن يكون أحزم الرجال ؟

نكي مبارك